القراء السبعة على ضم الدال في قوله الحمد هو مبتدأ وخبر وروي عن سفيان بن عيينة ورؤبة بن العجاج أنهما قالا (الحمد) بالنصب وهو على إضمار فعل وقرأ ابن أبي عبلة الحمد بضم الدال واللام اتباعا للثاني الأول وله شواهد لكنه شاذ وعن الحسن وزيد بن علي { الحمد } بكسر الدال اتباعا للأول الثاني .

قال أبو جعفر بن جرير معنى { الحمد } الشكر خالصا دون سائر ما يعبد من دونه ودون كل ما برأ من خلقه بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد ولا يحيط بعددها غيره أحد في تصحيح الالات لطاعته وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق وغذاهم من نعيم العيش من غير استحقاق منهم ذلك عليه ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم فلربنا الحمد على ذلك كله أولا وآخرا وقال ابن جرير C : الحمد ثناء أثنى به على نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال : قولوا الحمد قال وقد قيل أن قول القائل الحمد ثناء عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وقوله الشكر ثناء عليه بنعمه وأياديه ثم شرع في رد ذلك بما حاصله أن جميع أهل المعرفة بلسان العرب يوقعون كلا من الحمد والشكر مكان الاخر وقد نقل السلمي هذا المذهب أنهما سواء عن جعفر الصادق وابن عطاء من الصوفية وقال ابن عباس الحمد كلمة كل شاكر وقد استدل القرطبي لابن جرير بصحة قول القائل الحمد شكرا وهذا الذي ادعاه ابن جرير فيه نظر لأنه اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية والشكر لا يكون إلا على المتعدية ويكون بالجنان واللسان والأركان كما قال الشاعر : .

(أفادتكم النعماء مني ثلاثة : يدي ولساني والضمير المحجبا) .

ولكنهم اختلفوا أيهما أعم الحمد أو الشكر على قولين والتحقيق أن بينهما عموما وخصوصا فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه لأنه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية تقول حمدته لفروسيته وحمدته لكرمه وهو أخص لأنه لا يكون إلا بالقول والشكر أعم من حيث ما يقعان عليه لأنه يكون بالقول والفعل والنية كما تقدم وهو أخص لأنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية لا يقال شكرته لفروسيته وتقول شكرته على كرمه وإحسانه إلي هذا حاصل ما حرره بعض المتأخرين وا أعلم .

وقال أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري : الحمد نقيض الذم تقول حمدت الرجل أحمده حمدا ومحمدة فهو حميد ومحمود والتحميد أبلغ من الحمد والحمد أعم من الشكر وقال في الشكر هو

الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف يقال شكرته وشكرت له وباللام أفصح وأما المدح فهو أعم من الحمد لأنه يكون للحي وللميت وللجماد أيضا كما يمدح الطعام والمكان ونحو ذلك ويكون قبل الإحسان وبعده وعلى الصفات المتعدية واللازمة أيضا فهو أعم .

ذكر أقوال السلف في الحمد .

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو معمر القطيعي حدثنا حفص عن حجاج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس Bهما قال : قال عمر Bه : قد علمنا سبحان ا ولا إله إلا ا فما الحمد فقال علي : كلمة رضيها ا لنفسه ورواه غير أبي معمر عن حفص فقال : قال عمر لعلي ـ وأصحابه عنده : لا إله إلا ا وسبحان ا وا أكبر قد عرفناها فما الحمد ؟ قال علي : كلمة أحبها ا تعالى لنفسه ورضيها لنفسه وأحب أن تقال وقال علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران : قال ابن عباس : الحمد كلمة الشكر وإذا قال العبد الحمد قال : شكرني عبدي رواه ابن أبي حاتم وروى أيضا هو وابن جرير من حديث بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال الحمد هو الشكر هو الاستخذاء له والإقرار له بنعمته وهدايته وابتدائه وغير ذلك وقال كعب الأحبار : الحمد ثناء ا وقال الضحاك : الحمد رداء الرحمن وقد ورد الحديث بنحو ذلك .

قال ابن جرير : حدثنا سعيد بن عمرو السكوني حدثنا بقية بن الوليد حدثني عيسى بن إبراهيم عن موسى بن أبي حبيب عن الحكم بن عمير وكانت له صحبة قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم إذا قلت الحمد رب العالمين فقد شكرت ا فزادك وقد روى الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا روح حدثنا عوف عن الحسن عن الأسود بن سريع قال : قلت يا رسول ا ألا أنشدك محامد حمدت بها ربي تبارك وتعالى فقال : [أما إن ربك يحب الحمد] ورواه النسائي عن علي بن حجر عن ابن علية عن يونس بن عبيد عن الحسن الأسود بن سريع به وروى أبو عيسى الحافظ الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث موسى بن إبراهيم بن كثير عن طلحة بن خراش عن جابر بن عبد ا قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [أفضل الذكر لا إله إلا ا وأفضل الدعاء الحمد] وقال الترمذي حسن غريب وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك Bه قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [ما أنعم ا على عبد نعمة فقال : الحمد ا إلا كان الذي أعطى أفضل مما أخذ] وقال القرطبي في تفسيره وفي نوادر الأصول عن أنس عن النبي صلى ا عليه وسلّم قال : [لو أن الدنيا بحذافيرها في يد رجل من أمتي ثم قال الحمد كان الحمد أفضل من ذلك] قال القرطبي وغيره أي لكان إلهامه الحمد أكثر نعمة عليه من نعم الدنيا لأن ثواب الحمد لا يفنى ونعيم الدنيا لا يبقى قال ا تعالى : { المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا } وفي سنن ابن ماجه عن ابن عمر أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم حدثهم أن عبدا من عباد ا قال يا رب

لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها فصعدا إلى ا فقالا يا ربنا إن عبدا قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها قال ا وهو أعلم بما قال عبده ماذا قال عبدي ؟ قالا يا رب إنه قال : لك الحمد يا رب كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك فقال ا لهما [اكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها] وحكى القرطبي عن طائفة أنهم قالوا قول العبد الحمد رب العالمين أفضل من قوله لا إله إلا ا لاشتمال الحمد رب العالمين على التوحيد مع الحمد وقال آخرون لا إله إلا ا أفضل لأنها تفصل بين الإيمان والكفر وعليها يقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا ا كما ثبت في الحديث المتفق عليه وفي الحديث الاخر : [أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا ا وحده لا شريك له] وقد تقدم عن جابر مرفوعا [أفضل الذكر لا إله إلا ا وأفضل الدعاء الحمد] وحسنه الترمذي والألف واللام في الحمد لاستغراق جميع أجناس الحمد وصنوفه تعالى كما جاء في الحديث [اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الخير كله وإليك يرجع الأمر كله] الحديث .

والرب هو المالك المتصرف ويطلق في اللغة على السيد وعلى المتصرف للإصلاح وكل ذلك صحيح في حق ا ولا يستعمل الرب لغير ا بل بالإضافة تقول : رب الدار رب كذا وأما الرب فلا يقال إلا ا D وقد قيل إنه الاسم الأعظم والعالمين جمع عالم وهو كل موجود سوى ا D والعالم جمع لا واحد له من لفظه والعوالم أصناف المخلوقات في السموات وفي البر والبحر وكل قرن منها وجيل يسمى عالما أيضا قال بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس { الحمد رب العالمين } الحمد الذي له الخلق كله السموات والأرض وما فيهن وما بينهن مما نعلم ومما لا نعلم وفي رواية سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس : رب الجن والإنس وكذلك قال سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج وروي عن علي نحوه قال ابن أبي حاتم بإسناده لا يعتمد عليه واستدل القرطبي لهذا القول بقوله تعالى : { ليكون للعالمين نذيرا } وهم الجن والإنس قال الفراء وأبو عبيد : العالم عبارة عما يعقل وهم الإنس والجن والملائكة والشياطين ولا يقال للبهائم عالم وعن زيد بن أسلم وأبي محيصن العالم كل ما له روح ترفرف وقال قتادة : رب العالمين كل صنف عالم وقال الحافظ ابن عساكر في ترجمة مروان بن محمد وهو أحد خلفاء بني أمية وهو يعرف بالجعد ويلقب بالحمار أنه قال خلق ا سبعة عشر ألف عالم أهل السموات وأهل الأرض عالم واحد وسائرهم لا يعلمهم إلا ا D .

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى : { رب العالمين } قال الإنس عالم وما سوى ذلك ثمانية عشر ألف أو أربعة عشر ألف عالم ـ هو يشك ـ الملائكة على الأرض وللأرض أربع زوايا في كل زاوية ثلاثة آلاف عالم وخمسمائة عالم خلقهم ا لعبادته رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وهذا كلام غريب يحتاج مثله إلى دليل صحيح وقال ابن أبي

حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الفرات يعني ابن الوليد عن معتب بن سمي عن سبيع يعني الحميري في قوله تعالى : { رب العالمين } قال : العالمين ألف أمة فستمائة في البحر وأربعمائة في البر وحكي مثله عن سعيد بن المسيب وقد روي نحو هذا مرفوعا كما قال الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى في مسنده : حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبيد بن واقد القيسي أبو عباد حدثني محمد بن عيسى بن كيسان حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد ا قال : قل الجراد في سنة من سني عمر التي ولي فيها فسأل عنه فلم يخبر بشيء فاغتم لذلك فأرسل راكبا يضرب إلى اليمن وآخر إلى الشام وآخر إلى العراق يسأل هل رؤي من الجراد بشيء أم لا قال فأتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة من جراد فألقاها بين يديه فلما رآها كبر ثم قال سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول [خلق ا ألف أمة : ستمائة في البحر وأربعمائة في البر فأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد فإذا هلك تتابعت مثل النظام إذا قطع سلكه] محمد بن عيسى هذا وهو الهلالي ضعيف وحكى البغوي عن سعيد بن المسيب أنه قال ألف عالم ستمائة في البحر وأربعمائة في البر وقال وهب بن منبه ثمانية عشر ألف عالم الدنيا عالم منها وقال مقاتل : العوالم ثمانون ألفا وقال كعب الأحبار لا يعلم عدد العوالم إلا ا D نقله البغوي وحكى القرطبي عن أبي سعيد الخدري أنه قال إن أربعين ألف عالم الدنيا من شرقها إلى مغربها عالم واحد منها وقال الزجاج العالم كل ما خلق ا في الدنيا والاخرة قال القرطبي : وهذا هو الصحيح إنه شامل لكل العالمين كقوله : { قال فرعون وما رب العالمين ؟ * قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين } والعالم مشتق من العلامة (قلت) لأنه علم دال على وجود خالقه وصانعه ووحدانيته كما قال ابن المعتز : .

(فيا عجبا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد) .

(وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد)